بحث
٤

ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في العالم اليوناني الروماني

للدكتور
حسين الشيخ
أستاذ التاريخ القديم المساعد
بجامعتي الإسكندرية - وبيروت العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه،
وهو في الآخرة من الخاسرين﴾

[سورة آل عمران: آية ٨٥]

ديانات الأسرار والعبادات الغامضة

في العالم اليوناني الروماني

في تعريف الدين ربما كان من الأفضل الإبتعاد عن المناهج النفسية الإستبطانية التي استعملها «هربرت سبنسر» أو «ماكس موللر»، أو المنهج الحدسي الذي استعمله «هنري برجسون» لعدم جدواهما في إخراج تعريف محدد مقنع، وربما كان المنهج الموضوعي المقارن أفضل، إذ يقوم على المقارنة بين الأديان لتعيين عناصرها العامة. وبمثل هذا المنهج نصل إلى تعريفات «جيمس فريزر» والذي حدد الدين بأنه إحساس أن هناك نفساً خفية تعترف النفس البشرية بمالها من سلطان على العالم وعليها، ولذا يجب أن تكون على اتصال دائم بها ما أمكن.

لكن رأى «فريزر» ليس دقيقاً كما يرى «إميل دور كايم» لأنه من الممكن ـ في رأي دور كايم ـ ظهور دين بدون ظهور فكرة الإله كما في الزرادشتية، بل ويزيد بأن هناك بعض الديانات لم تتحقق فيها فكرة الدين مثل البوذية التي هي في جوهرها أخلاق بغير دين. ويقسم «دوركايم» الظواهر الدينية إلى قسمين:

ـ العقائد التي هي حالة فكرية تتعامل مع الأفكار والتصورات التي تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة وما بينها من علاقات.

ـ العبادات وهي نماذج وطرز من الأفعال الجسمية وغير الجسمية يمارسها الإنسان حيال الأشياء المقدسة[1].

---

(١) علي سامي النشار، نشأة الدين، النظريات التطورية والمؤلهة، دار الثقافة، الاسكندرية ١٩٤٩، صفحات ٢١ـ٢٨.
والدين ـ في اللغة ـ هو الجزاء، وهو الله، وهو الخضوع والطاعة، وهو العبادة والورع وهو إسم لجميع ما يُتعبد به لله عز وجل.
انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، القاهرة ١٩٥٢، الجزء الرابع، صفحات ٢٢٦ ـ ٢٢٧. والدين ـ في نظر الإسلاميين ـ هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الإعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات. =

ويبدو أن الاختلاف الأساسي بين الديانات اليونانية والرومانية القديمة والعقائد الدينية السماوية يكمن في أن الأخيرة تتجاوز حدود هذا الكون، إذ أنها تبشر من اعتنقها بالسعادة الأبدية في العالم الآخر أو تهدده بالعقاب الصارم طبقاً لأعماله، على حين أن الديانة اليونانية القديمة على سبيل المثال كانت أكثر ارتباطاً بمجريات الحياة اليومية، فلم تكن الآلهة اليونانية أسيرة في هياكلها أو سماواتها أو مملكتها السفلى، بل كانت تحيا في طرقات المدينة وفي بيوت الناس وفي حقول الكروم والزيتون، ومع الأخذ في الإعتبار كل أحداث الحياة اليومية، فقد كانت الآلهة ماثلة أمام الفرد اليوناني العادي في كل مسالك حياته، بوسعه دعوتها في أية لحظة لتكون شاهداً على قسم، أو لحمايته من خطر معين، أو لشفاء مرض خطير، أو لتبارك عملاً ما.

ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات أن يراعي الفرد اليوناني أو الروماني العادي قواعد خاصة في تعامله مع هذه الآلهة نظراً لمرتبتها السامية، لكن هذه القواعد كانت بسيطة خالية من التعقيد والرهبة، فكان يتعامل مع الهته ببساطة شديدة لكنها لا تخلو من الإجلال.

وربما كان لإنعدام فكرة العالم الآخر في الديانات اليونانية والرومانية بالشكل الذي وردت به مثلاً في الديانة المصرية القديمة أبلغ الأثر على الطريقة التي اختار بها اليوناني أو الروماني القديم آلهته التي تعبد لها، فقد اعترف ببساطة بألوهية عدد من القوى، مثل أورانوس (السماء) أو هاديس (ملك العالم السفلى غير المرئي). أو الشمس أو القمر والنجوم إلا أنه لم يتعبد لها أو يقدم القرابين، فهذه الكائنات لا تبدي أي إهتمام بالبشر، ومن ثم فلا حاجة للبشر أن يهتموا بها، ويتضح التناقض عندما يبدأ نفس الفرد اليوناني أو الروماني العادي الذي لا يهتم بأورانوس أو هاديس في التعامل مع زيوس (چوبيتر) إله الطقس، أو كوري إلهة المحاصيل، أو آريس إله الحرب، أو غيرهم من الآلهة التي تتدخل وتتحكم في أحيان كثيرة في حياة البشر، ومن ثم فلا بد في المقابل لهؤلاء البشر من تحديد طريقة فعالة وناجحة في التعامل مع هذه الآلهة والتي تمثلت في عبادتهم وتقديم القرابين لهم لكسب ودهم واستدرار عطفهم أو على الأقل لتلافي شرورهم وأحياناً عبثهم[٢].

= راجع: محمد عبد الله دراز، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، القاهرة ١٩٦٩، صفحات ٢٥ ـ ٢٦. هذا رغم أن القرآن الكريم إنما يسمى معتقدات الآخرين دينا، حتى وإن كان هذا الدين هو الكفر ذاته، حيث يقول الله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين﴾ [سورة الكافرون: آيات ١ ـ ٦].

(٢) هـ، روز، الديانة اليونانية القديمة، ترجمة رمزي عبده جرجس، القاهرة ١٩٦٥، صفحات ٨ ـ ١٤.

cf. Easterling, P. E. Muir, J. V, Greek Religion And Society, Cambridge 1985, pp. 4 - 32; Jane Harrison, Prolegomena To The Study of Greek Religion, New York 1955, PP. 257 - 362.

ديانات الأسرار:

شهدت القرون القليلة قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي عدة تغيرات سياسية وإجتماعية في العالم اليوناني الروماني، فالدويلات اليونانية ومقدونيا أسست أمبراطوريات ثم فقدتها، وانتشرت القوة الرومانية في حوض البحر المتوسط بالكامل تقريباً، في نفس الوقت الذي كانت مؤسساتهم الجمهورية تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت ضغط الحروب الأهلية (١٣٣ ق. م ـ ٢٧ ق. م). إجمالاً يمكن القول أن هذه الفترة اتسمت بعدم الاستقرار والضياع والخوف من المستقبل، وانتشرت ممارسات التنجيم والسحر، وظهر الفلاسفة الشكاكون، وفي مثل هذا المناخ كان من الطبيعي أن تزدهر الديانات السرية الهللينستية لأنها توفر الحماية لمن يعتنقها وتمنحهم الأمل في غد أفضل، بالإضافة إلى أنها قدمت بعض الإجابات والتفسيرات للشكاكين من الفلاسفة.

ويستعمل اصطلاح ديانات الأسرار للإشارة إلى عدد من الديانات ذات الأصول المتباينة والشخصيات المختلفة، وحتى المسيحية في بداياتها كانت أحياناً ما تعامل على أنها من ديانات الأسرار. وحتى بدايات الإمبراطورية الرومانية كانت أكثر هذه الديانات إنتشاراً عبادة ديميترا، وديونيسوس، إيزيس وسارابيس، كيبيلي واتيس، والإله ميثرا. كما تناثرت ديانات أخرى بنفس النوعية حول حوض البحر المتوسط.

وبإستثناء ديميترا يمكن القول أن أغلب هذه الآلهة كانت تعبد أصلاً في الشرق الأدنى كآلهة محلية، ولم تكن لها صفة الغموض. وكديانات محلية فقد كانت في الأصل تقديساً لعناصر الطبيعة المختلفة المؤثرة في حياة الإنسان، وكان ضمان الخصب ونمو المحاصيل هدفاً أساسياً لأغلب هذه الديانات، وكان الجنس غالباً ما يحتل مكانة هامة في هذه الديانات كتعبير عن إستمرارية الحياة وتدفقها(٣).

وفي العصر الهللينستي اتصلت العديد من ديانات الشرق الأدنى بالديانات اليونانية وأثرت فيها وتأثرت بها، وكنتيجة لهذا الاتصال تحولت بعض الديانات المحلية إلى ديانات أسرار، ويبدو أن أولها كان الديانة أو الطقوس الإليوسية الغامضة، وهي عبادة ديميترا وكورى في اليوسيس بالقرب من أثينا.

ويمكن تعريف: الديانات السرية بأنها الديانات التي يقوم معتنقوها بأداء طقوس غامضة تقتصر عليهم فقط وذلك لضمان حياة سعيدة أبدية بعد الموت. ورغم الإختلافات العديدة بين هذه الديانات بسبب أصولها المحلية المختلفة، إلا أن العامل المشترك الذي ربط بينهم كان طقوس التكريس وتلقين أوليات أو مبادىء الديانة، وهذه الأوليات كانت

(٣) Edgar Krentz, The Mystery Religions: An Overview, Religion and Ethics Institute, Evanston, U.S.A. 1980, P. 1.

عادة ما تبدأ بطقوس التطهير، ثم يشارك المتعبد في عدة طقوس غامضة اختلفت من ديانة لأخرى ويقصد بها التوحد مع الإله المقدس حتى يضمن لنفسه الخلود بعد الموت.

وعلى عكس ما كان يحدث في الديانات اليونانية أو الرومانية التقليدية التي عنيت بمجريات الحياة اليومية، فقد كانت الديانات السرية تقدم لمن يعتنقها الخلاص الشخصي والسعادة الأبدية، ونتيجة لذلك كان من الطبيعي أن تنتشر هذه الديانات عن طريق الهجرات والرحلات والتجارة وحتى الجيوش(٤).

وكان لكل من هذه الديانات السرية أسطورة عبارة عن قصة مقدسة تتعلق بحياة أو بحادثة معينة في حياة إله هذه الديانة، تعطي من يعبده فكرة عن مغزى وجوهر هذه الديانة بما تحويه الأسطورة من إشارات ورموز مقدسة. ومثال لهذا من الديانات السرية اليونانية كانت أسطورة ديميترا وابنتها كوري (برسيفوني)، فقد كانت ديميترا إلهة الخصب والنماء، فلما اختطف بلوتو إله العالم الآخر إبنتها كوري لتعيش معه، تألمت ديميترا فأجدبت الأرض، ولما سمح بلوتو لكورى بالعودة إلى أمها لمدة ستة أشهر من كل عام أخذت الأرض في الازدهار مرة أخرى، أما نصف العام الذي تقضيه كورى في العالم الآخر فكان رمزاً لجدب الأرض في فصل الشتاء، أي هي محاولة لتفسير دورة المحاصيل الزراعية أو موت الأرض ثم عودتها للحياة مرة أخرى، وبالتالي فإن معتنقوا ديانة ديميترا موعودون بالعودة إلى الحياة مثلهم في ذلك مثل الأرض.

ويصور لنا الشكل رقم (١) أكثر لحظات هذه الأسطورة درامية وهي لحظة اختطاف بلوتو لكورى بينما إحدى بنات أوقيانوس ـ وكانت تلعب مع كورى لحظة الاختطاف ـ تجري مذعورة، وهو عبارة عن نحت من الرخام من واجهة الحرم المقدس في اليوسيس، وغالباً يعود إلى العصر الأرضى حيث أن ملامح الوجه رصينة ساكنة لا تحمل أية مشاعر(٥).

أما الديانات التي أتت من الشرق فقد جنحت إلى الإحتفاظ بآلهتها وأساطيرهم حتى بعد أن دخلت عليها الطقوس الغامضة وتحولت إلى ديانات سرية، والديانة الميثرائية أحد أبرز هذه الأمثلة. ويوضح لنا شكل رقم (٢) أحد معابد ميثرا من الداخل في أوستيا ميناء روما القديم، والنحت الغائر على الحائط في نهاية الغرفة جهة المذبح يصور أحد مشاهد أسطورة ميثرا، وهو هنا ذبحه للثور البدائي الاسطوري، وفي معابد أخرى كانت تصور مناظر متنوعة من سيرة حياة ميثرا الأسطورية بالنحت الغائر أو الفرسكو.

---

(٤) Ibid., p. 1 - 2.

(٥) Ibid., p. 2.

ولما كان ميثرا إلها مرتبطاً بالشمس، لذا كانت معابده تبنى تحت الأرض حتى يتمكن كهنته من التحكم في كمية الضوء اللازم للقيام بطقوسهم[٦].

وقد طوعت هذه الأساطير المحلية نفسها لتتوائم مع الديانات التي كانت في طريقها لتصبح ديانات سرية ومن ثم تصبح جزءاً من الثقافة الهللينستية، حتى يمكن تفسير الطقوس والإعتقادات التي ظهرت في الديانات الجديدة عن فكرة الخلود الشخصي. فأسطورة أفروديتي وأدونيس لم تخرج عن كونها قصة الموت والبعث وهي بهذا تتشابه مع قصص أخرى في عبادة كيبيلي وأتيس، فقد كان أدونيس هو زوج أفروديتي المرتقب، فقتله خنزير بري ثم عاد إلى الحياة مرة أخرى. والشكل رقم (٣) يظهر لنا نحت روماني بارز وجد في شستر في إنجلترا، وفيه يبدو أدونيس وهو يحتضر تحت شجرة في قبرص موطن أفروديتي، وبالتالي فقد عدلت الاسطورة من نفسها لتتلائم مع الديانات السرية، لأن معتنقوها سيعيشون أيضاً بعد الموت[٧].

وفي شكل آخر للأسطورة نجد أن أفروديتي قد أودعت أدونيس عند الإلهة كورى، وفيما بعد عندما طلبت عودته رفضت كوري، فتظلمت أفروديتي للإله زيوس الذي حكم بأن يمكث أدونيس نصف العام عند كورى، ونصفه الآخر عند أفروديتي، وهذا الشكل هو بلا شك موائمة للقصة الأسيوية القديمة مع الأسطورة السائدة في التراث اليوناني في اليوسيس، وربما كان هذا عاملاً مساعداً في تأكيد فرضية أن الأساطير الأليوسية كانت قد أثرت في الديانات الشرقية خلال فترة إنتقالها إلى الغرب.

وفي ديانات الأسرار كانت الطقوس الغامضة تحمل قدراً لا بأس به من التناقض من ناحية الممارسة، أما من الناحية النظرية أو الفكر الكامن وراء هذه الطقوس فلسوء الحظ لا نعرف الكثير عنه، فقد سميت شعائر التكريس أو التلقين «الأسرار»، لكن لدينا بعض الرسومات على الفرسكو أتت من «ڤيلا الأسرار» في مدينة بومبى من المحتمل أنها تعود إلى الديانة الديونيسية، وكأغلب ديانات الأسرار فالموضوع الرئيسي لها هو تحقيق التوحد مع الإله[٨].

والشكل رقم (٤) يبرز لوحات الفرسكو على ثلاث جدران لإحدى حجرات ڤيلا الأسرار في بومبى، وهو يوضح شعائر تكريس تظهر فيها إحدى الفتيات تستعد للزواج وهو تعبير رمزي للتوحد مع الإله وعلى الحائط الأخير يظهر ديونيسوس متكئاً على محظيته أريادني.

---

(٦) Ugo Bianchi, The Greek Mysteries, Leiden: E. J. Brill, 1976, p. 27 FF.

(٧) Edgar Krentz, op. cit., p. 2.

(٨) Ibid., p. 3.

والشكل رقم (٥) عبارة عن لقطة مقربة تظهر العروس وهي تكشف الغطاء عن عضو ذكرى، وهي الطريقة القديمة لإظهار ما يرتبط بالزواج من حب حسي وخصوبة، فالتكريس لمثل هذه الديانات كان يهتم بإظهار أشياء مقدسة ترتبط بطقوس العبادة الغامضة مثل الأعضاء التناسلية رمز الخصوبة وإستمرارية الحياة. لكن من الصعوبة بمكان أن نأخذ من الأعضاء التناسلية رمزاً مشتركاً بين كل ديانات الأسرار، إلا أن ظاهرة كشف النقاب عن شيء مقدس أو له صلة بالطقوس الغامضة يمكن القول أنها كانت قاسماً مشتركاً بين أغلب هذه الديانات.

كما كان القمح رمزاً للحياة والموت ثم البعث، فالقمح يمثل الخلود للبشر الذين يولدون ثم يموتون ثم يبعثون في حياة خالدة سعيدة بشرط أن يعتنقوا إحدى الديانات السرية التي تتيح لهم فرصة التوحد مع الإله، هذا التوحد الذي كان يحدث بعدة طرق منها الزواج كما سبق القول، ومنها الإشتراك في تناول الوجبات المقدسة، كما في عبادة إيزيس وسارابيس، ومنها الوصول للنشوة والغيبوبة أو الإنجذاب الروحي كما في عبادة كيبيلي وديونيسوس، حيث يقوم عبدة ديونيسوس بشرب كميات من النبيذ حتى تتملكهم روح الإله المقدس ويصلوا إلى مرحلة الغيبوبة التي تؤهلهم للتوحد مع الإله[٩].

أما عن الأماكن التي كانت تقام فيها شعائر هذه الديانات السرية فقد أقيم لها إما معبد أو محراب صغير، وكانت محتويات هذه الأماكن تختلف من ديانة سرية لأخرى، ففي ديانات ديميترا وديونيسوس وكيبيلي وإيزيس والإلهة السورية أتارجاتيس كان لا بد من وجود تمثال للإله في المعبد أو المحراب، وهذا التمثال إما أن يكون معروضاً للمتعبدين، أو يُخفى في مكان خاص به حيث يقوم الكهنة أو الكاهنات بالعناية المنتظمة به. أما في ديانة ميثرا فلم تتواجد مثل هذه التماثيل، بل كان يتم الإكتفاء بنحت بارز أو غائر على الحائط يمثل الإله ميثرا. وبالإضافة إلى التماثيل أو المنحوتات البارزة أو الغائرة فقد احتوت هذه الأماكن المقدسة أشياء أخرى لها علاقة رمزية بمعتقدات عبدة الإله.

وكانت أغلب هذه المعابد تكوّن جزءاً من المنطقة المقدسة التي غالباً ما كانت محاطة بسور يحميها، حيث كانت تجري شعائرالعبادات في عدة أماكن داخل نطاق هذا السور، ففي اليوسيس مثلاً كان كهف بلوتونيوم يمثل المدخل إلى العالم الآخر الذي استعمله الإله بلوتو عند إختطافه لكورى.

ويثور هنا تساؤل حول الكيفية التي كانت تنظم بها هذه الديانات مع طقوسها الغامضة؟ وكأغلب الديانات الوثنية القديمة فقد كانت ديانات الأسرار تنظم بواسطة عدد من

---

(٩) Ugo Bianchi, op. cit., p. 16 FF.

الكهنة أو الكاهنات أو كلاهما معاً، البعض منهم مسئول عن تلقين وتعليم معتنقي هذه الديانة الفكر الكامن ورائها أي شرح العقيدة الدينية، والبعض الآخر مسئول عن إقامة الطقوس الغامضة ومتابعة أدائها على الوجه الذي يحقق الغرض منها، أي متابعة شعائر العبادة. وكان لبعض هذه الديانات طقوس عبادة يومية، هذا بالطبع بالإضافة إلى الاحتفالات السنوية أو النصف سنوية والتي كانت تقام فيها مواكب الآلهة(١٠).

وكان من الطبيعي أن تنتقل بعض الأفكار من ديانة إلى أخرى أو بعض الطقوس من عبادة إلى أخرى داخل نطاق ديانات الأسرار، وهو ما يسمى بالتوافق الديني «Syncretism»، ويظهر الشكل رقم (٦) تمثالاً برونزياً يعود للعصر الروماني عثر عليه في بعلبك (لبنان) يمثل الإله جوبيتر هليوبوليتانوس أحد آلهة المدينة في العصر الروماني، ويبدو واضحاً أن معالم الإله جوبيتر الروماني قد اختفت تقريباً تحت تأثير الرموز المحلية للآلهة الفينيقية، كغطاء الرأس المعروف بإسم كالاتوس Calathos والذي يرمز إلى الخصوبة.

وكانت أغلب هذه الديانات متاحة أمام الجميع، أحراراً وعبيداً، رجالاً ونساءاً، صغاراً وكباراً، ومن ثم فقد أتيح لها قدراً كبيراً من الإنتشار، وبالتدريج بدأت الفوارق الحادة بين هذه الديانات تذوب، حتى أن بعض الدارسين يعتقد أن ديانتين مثل كيبيلي وميثرا قد توحدتا في ديانة مزدوجة في ولايات الإمبراطورية الرومانية الغربية(١١).

ديانة الأسرار الإليوسية:

تعود ديانة الأسرار الإليوسية إلى حوالي القرن السادس عشر ق. م، واستمرت حتى القرن الرابع الميلادي، أي حوالي الألفي عام، وربما تكون هذه الديانة قد نشأت أصلاً من الديانات الإيجية القديمة، فالأدلة الأثرية توضح أنها من أقدم ديانات الأسرار اليونانية على الإطلاق(١٢).

وغالباً ما تعارضت ديانات الأسرار اليونانية مع الديانات السائدة في دولة المدينة (ما يشبه الديانات الرسمية) ذات الطقوس العلنية، والتي تهتم أساساً بمظاهر الحياة الدنيوية، وبالتالي فلم تتحقق فيها فكرة العالم الآخر والتي كانت أقرب إلى الغموض والإهتزاز. وعلى العكس من ذلك فقد ضمنت ديانات الأسرار لمن يعتنقها مشاركة شخصية في طقوس غامضة تضمن له حياة سعيدة مباركة في العالم الآخر.

وقد أخذت هذه الديانة إسمها من مدينة صغيرة تبعد أربعة عشر ميلاً إلى الغرب من

---

(١٠) Apuleius, Apol., 55; Metam., XI; Lucretius, De Rerum Natura, II, 600 - 645.

(١١) Edgar Krentz, op. cit., p. 6.

(١٢) David Aune, The Eleusinian Mysteries, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1976, p. 1.

أثينا، ويربطهما طريق مباشر يسمى الطريق المقدس.

ومن اليوسيس انتشرت هذه الديانة في اليونان كلها، بل وصاحبت اليونانيين في هجراتهم ومستعمراتهم الجديدة في آسيا الصغرى. وصقلية وجنوب إيطاليا وحتى سواحل البحر الأسود. وفي العصرين الهللينستي والروماني أصبح من الممكن لغير اليوناني أن ينضم إلى هذه الديانة والتي كانت متاحة للجميع من الرجال والنساء والأطفال وحتى العبيد، حتى أن شيشرون يقول:

«لقد أصبح لدينا الآن المبرر كي نعيش في حبور، ونموت على أمل أفضل»(١٣).

وكانت الإلهة الرئيسية في هذه الديانة هي الإلهة ديميترا أو «الأرض الأم» مانحة الحياة والخصوبة، ويظهر الشكل رقم (٧) الإلهة ديميترا إلى اليسار مع ابنتها برسيفوني إلى اليمين، أما الشكل رقم (٨) فيظهر فيه مدخل الكهف المسمى بلوتونيوم في اليوسيس والذي اعتقد اليونانيون أنه المدخل إلى العالم الآخر الذي يستعمله الإله بلوتو. ويوضح الشكل رقم (٩) تمثالاً لديميترا يؤرخ بحوالي ٤٦٠ ق. م، وتستمر الأسطورة في محاولة تفسير أصل هذه الديانة قائلة بأن الإلهة ديميترا بعد أن اختطف بلوتو إبنتها أخذت تتجول باحثة عنها حتى وصلت إلى اليوسيس متنكرة في زي امرأة عجوز، وعرضت عليها ابنة ملك اليوسيس أن تعمل كمربية للإبن الوحيد للملك، وفي محاولة من ديميترا لرد جميل الملك وحسن معاملته لها حاولت أن تهب إبنه الخلود، إلا أن الأم فزعت من الطقوس الغامضة التي تقوم بها ديميترا ورفضت، فكشفت ديميترا لهم عن شخصيتها، وطالبت أهل اليوسيس أن يبنوا لها معبداً ووعدتهم أن تعلمهم هذه الطقوس الغامضة التي ستضمن لهم الخلود بعد الموت(١٤).

وكان الإحتفال بالأسرار الإليوسية الصغرى والأسرار الكبرى يتم سنويا، لكن لا يُعرف الكثير عن الأسرار الصغرى ما عدا أنها كانت تتم في الربيع، أما الأسرار الإليوسية الكبرى فقد كان الإحتفال بها يتم في الخريف خلال شهر «بويدروميون» (سبتمبر - اكتوبر) في الوقت الذي تبدأ فيه الحقول في الإخضرار. في الثالث عشر من شهر بويدروميون (٢١/ ٢٢ سبتمبر) كان الكهنة يحملون تمثال ديونيسوس مع رموز أخرى مقدسة تتعلق بعبادة ديميترا من معبدها في اليوسيس ليودع في معبدها في أثينا عبر الطريق المقدس في موكب حافل.

وفي اليوم التالي (١٤ بويدروميون) يعلن الكاهن الأكبر للإلهة ديميترا في أثينا بداية

---

(١٣) Cic., de Legibus, II. 14. 36.

(١٤) Hymn to Demeter, (Loeb), 478 - 79.

الإحتفالات. وفي اليوم الذي يليه (١٥ بويدروميون) يبدأ معتنقوا ديانة الأسرار الإليوسية في إجراء طقوس التطهير في خليج «فاليرون» إلى الشمال من أثينا حيث يقومون بالإغتسال، ويطهرون معهم خنزيراً صغيراً ثم يذبح الخنزير وينثر دمه على عبدة ديميترا، ثم يطلب منهم الصيام لثلاثة أيام، ويظهر في الشكل رقم (١٠) نحت غائر من القرن الخامس ق. م تبدو فيه الإلهة برسيفوني تقوم بهذه الطقوس لتطهر عدداً من المبتدئين الذين انضموا حديثاً إلى ديانة الأسرار الإليوسية[١٥].

وفي التاسع عشر والعشرين من شهر بويدروميون يتجمع كهنة الإلهة ديميترا مع عبادها الذين تطهروا حاملين أغصان وأوراق الريحان، ثم يتحركون من أثينا عبر الطريق المقدس إلى اليوسيس حاملين معهم تمثال ديونيسوس الذي كان سبق أن أحضر قبل أسبوع إلى أثينا. وكان الموكب يتحرك ببطء شديد حيث كان من المفترض أن تقدم القرابين والأضاحي على كل المذابح التي يمتلىء بها الطريق[١٦].

وأخيراً وحوالي اليوم الواحد والعشرون من الشهر يصل الموكب ليلاً إلى معبد ديميترا في اليوسيس بصحبة المشاعل المضيئة، ويبدو أنهم كانوا يشاركون في وجبة مقدسة من الخبز مع شراب مميز عبارة عن خليط من مسحوق الشعير والماء معطر بالنعناع يسمى كيكيون Kykeon ويشرب في أوعية ذات شكل غريب تسمى كيرنوى Kernoi[١٧].

وكان الوعد بالخلود بعد الموت هو مكافأة المشاركين في هذه الطقوس، وهو الخلود الذي يرتبط بالبذور الميتة التي تعود إلى الحياة في رحم الأرض الأم، وكان من المعتقد أن هذا الخلود سيتم تحت الأرض.

يقول بنداروس:

«مبارك هو من شارك في هذا، سيجتاز طريقه تحت الأرض، فهو يعرف نهاية الحياة، ثم بدايتها مرة أخرى والتي سيهبها له زيوس»[١٨].

ويقول سوفوكليس:

«مباركون ثلاث مرات هؤلاء الفانون الذين شاركوا في هذه الأسرار، قبل رحيلهم إلى هاديس، لأنهم فقط من سيحظون بحياة حقيقية هناك»[١٩].

---

(١٥) David Aune, op. cit., pp. 3 - 4.

(١٦) Ibid., pp. 4 - 5.

(١٧) Clement of Alexandria, Prot., 2. 18.

(١٨) Pindar, Frag., 121 (Bowra).

(١٩) Sophocles, Frag., 753 (Nauck, T. G. F.).

الأسرار الديونيسية:

يظهر الإله ديونيسوس في صور عدة، فهو إله النبيذ، إله النبات المزهر، إله المسرح، إله الجنون المقدس، إله سطوة الجنس، وهو إله تمتد سطوته إلى ما وراء القبر. وحتى الستينات من هذا القرن كان الإعتقاد السائد هو أن ديونيسوس قد أتى إلى اليونان من ثراكيا وفريجيا فيما قبل القرن السادس ق. م. بقليل، وإعتمدت هذه النظرية على أن ديونيسوس لا يظهر كواحد من آلهة الأوليمبوس في أشعار هوميروس، بالإضافة إلى أن الاسطورة نفسها تتحدث عن إله جديد أتى من بلاد بعيدة ويصيب من يرفض عبادته بالجنون.

إلا أن مثل هذه النظرية لا تصمد طويلاً للمناقشة، فسندها الأساسي هو الاسطورة التي تتحدث عن إله جديد أتى من بلاد بعيدة، وربما كان هذا إشارة إلى فترة تاريخية كانت ديانة ديونيسوس فيها غير مقبولة بالدرجة الكافية، إلى أن تم انتشارها وتقبلها اليونانيون. أما عدم ذكر ديونيسوس في أشعار هوميروس فهذا ليس بدليل مؤكد على عدم وجوده، ومن الغريب أن اسم ديونيسوس يظهر بشكله القديم مرتبطاً بالنبيذ على ألواح لينر ب (Linear B) بترتيب الأحرف التالي (Diwonusojo)، ما قد يرجح أن ديانة ديونيسوس قد تأسست في اليونان خلال فترة الحضارتان الإيجية والموكينية(٢٠).

وكانت ديانة ديونيسوس مفتوحة أمام الرجال والنساء على حد سواء، إلا أن النساء فقط كن يصبحن «ماينادز» Maenads، فكن يمارسن الرقص الذي أطلق عليه «رقص الجبال»، وهو طقس كان يتم شتاءاً في أماكن مقدسة محددة وليس بشكل عفوي تلقائي كما تقول الأسطورة، وكان هذا الرقص يعبر عن حالة من الإنجذاب المؤقت من المعتقد أن ديونيسوس هو الذي كان يسببه.

وقد ارتبطت ديانة ديونيسوس بأعياد عدة كانت تقام في أثينا وغيرها من المدن اليونانية، منها عيد «الأنثيستاريا» Anthesteria في شهر فبراير ويستمر لثلاثة أيام. ففي اليوم الأول كان يتم فتح جرار النبيذ الجديد ويتم تقديم قربان منه إلى ديونيسوس، وفي اليوم الثاني كان يتم عرض تمثال ديونيسوس في موكب حافل، وفي هذا اليوم كانت زوجة الحاكم والمسئول عن الشئون الدينيةArchon Basileus تقوم بأداء طقس غامض ربما قرب أحد المستنقعات، ثم تعود إلى الأجورا الأثينية حيث كان يتم طقس آخر يرمز به إلى زواجها المقدس بديونيسوس نفسه أي إتحادها مع الإله، وربما كان زوجها يقوم بدور ديونيسوس في هذا الطقس.

---

(٢٠) Susan Cole, The Dionysos Cult, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1980, pp. 1 - 2. Cf. Walter Otto, Dionysos, Myth and Cult, Indiana University Press, 1965, Passin.

ويظهر الشكل رقم (١١) إناءاً من القرن الخامس ق. م صورت عليه زوجة الأرخون تنتظر ديونيسوس لإتمام الزواج، بينما صور ديونيسوس بصحبة أحد أتباعه من الساتير. أما اليوم الثالث والأخير فكانت تقدم فيه القرابين لأرواح الموتى(٢١).

ويوضح الشكل رقم (١٢) إناءاً مطلياً بالذهب يعود إلى القرن الرابع ق. م وجد في مقبرة في «درڤني» Derveni وهي قرية صغيرة إلى الجنوب من تسالونيكي في شمال اليونان، والإناء محلى بزخارف بارزة تمثل ديونيسوس مع محبوبته أريادني، والساتير والمايناذز يرقصون. وربما كان هناك ارتباط بين معتقدات صاحب الإناء الدينية وبين ما هو ممثل على الإناء، فقد وجدت العديد من الأواني المرسوم عليها مثل هذه المناظر في مقابر يونانية بجنوب إيطاليا، ففي مقبرة في «لوكروى» Lokroi وجد تمثال صغير لإحدى المايناذز في يد إمرأة ميتة، وفي مقبرة في «هيبونيون» Hipponion وجد نقش يتحدث عن الطريق المقدس الذي سيسلكه من يعبد ديونيسوس إلى العالم الآخر.

وبحلول القرن الرابع ق. م ساد الإعتقاد بأن من يعتنق ديانة ديونيسوس السرية ويشارك في طقوسها الغامضة في محاولة للإتحاد مع الإله ستكون له حياة سعيدة خالدة بعد الموت. وبحلول القرن الثاني ق. م كانت ديانة ديونيسوس السرية قد انتشرت في مدن كثيرة في اليونان وآسيا الصغرى. وبحلول القرن الأول ق. م انتشرت عبادة «باخوس» كما كان يعرف ديونيسوس في إيطاليا، من الجنوب صوب الشمال حتى روما، رغم أن ذيوع هذه الديانة قد قوبل بتحفظ شديد من قبل الجهات الحكومية في روما، ربما لعدم الإنضباط الذي تميز به عبدة باخوس، إلا أن المؤرخ ليڤيوس يخبرنا بأن الطقوس الغامضة لهذه الديانة السرية كانت تقام في روما لمدة خمسة أيام من كل شهر، وكان يشارك فيها الرجال والنساء معاً(٢٢).

ويبدو أن هذه الطقوس كانت سيئة السمعة في روما حيث ارتبطت غالباً ببعض الأعمال غير القانونية خاصة الجنسية منها، مما اضطر السناتو الروماني لإصدار قرار يقضي بمنع أي شخص يعيش في إيطاليا ويعتنق ديانة باخوس السرية أن يقيم طقوسها الغامضة أو حتى يلتقي بزميل له. ورغم هذا فقد استمرت الديانة السرية في الإنتشار(٢٣).

فقد استمر الإهتمام بهذه الديانة حتى القرن الثالث الميلادي كما يتضح من العديد من التوابيت الرومانية التي وصلتنا بالإضافة إلى عدد كبير من النقوش يعود لهذه الفترة. وربما

---

(٢١) Susan Cole, op. cit., pp. 2 - 3.

(٢٢) Livy, Hist., XXXIX. 9 - 18.

(٢٣) Susan Cole, op. cit., p. 5. Cf. Walter Otto, op. cit., Passin.

يعود هذا إلى ازدياد الاهتمام بفكرة العالم الآخر والحياة بعد الموت، فقد مثل ديونيسوس لمن اعتنق ديانته ـ حسب الأسطورة ـ الإنتصار على الموت بولادته مرة أخرى من فخذ أبيه زيوس بعد أن احترقت أمه.

وفيما قبل العصر الهللنيستي لم تشيد معابد ضخمة للإله ديونيسوس، فالمباني التي ارتبطت بعبادته في اليونان كانت عادة مبان صغيرة الحجم. والأمثلة على المعابد القائمة حاليا قليلة وأفضلها هو معبد ديونيسوس في هليوبوليس (بعلبك ـ لبنان) كما يبدو في الشكل رقم (١٣)، وقد بنى خلال القرن الثاني الميلادي، وتحت الصالة الرئيسية للمعبد وجد كهف كبير يبدو أن الطقوس الغامضة لديونيسوس كانت تقام فيه[٢٤].

الأسرار الساموثراكية:

كانت جزيرة ساموثراك (شكل ١٤) موطناً لواحدة من أشهر الديانات السرية اليونانية ألا وهي الديانة الساموثراكية. ومعلوماتنا عن الأصول التاريخية للديانة الساموثراكية قليلة، بل تكاد تكون منعدمة، وتوجد مؤشرات إلى إحتمال إستعمال لغة غير اللغة اليونانية في أداء طقوس هذه الديانة، مما يبرز إحتمال أن تكون أصول هذه الديانة غير يونانية. وبحلول أواخر القرن الخامس ق. م أصبحت هذه الديانة مألوفة لليونانيين حتى في أثينا نفسها[٢٥].

ومن العسير إضافة شيء آخر للأصول التاريخية للديانة، فالمصادر الأدبية متأخرة وغامضة وغالباً متناقضة. ورغم أن الحرم المقدّس للديانة الساموثراكية قد تم التنقيب فيه إلا أن الكثير من اللقى الأثرية أصبحت تشكل مشكلة.

ويبدو أن الآلهة الساموثراكية لم تكن لها أسماء منفردة بل أطلق عليها «Theoi Megaloi» أي الآلهة العظيمة، أو «Theoi Samothrakes» أي الآلهة الساموثراكية كما أطلق عليها في مناطق غير جزيرة ساموثراك نفسها[٢٦].

وتقع جزيرة ساموثراك بالقرب من الجزء الجنوبي الغربي لساحل آسيا الصغرى وهي ذات طبيعة جبلية، تبدو جبالها وكأنها ترتفع مباشرة من البحر، ويعتبر جبل ساوس Saos أو فنجاري Phengari كما يسمى حديثا أعلى نقطة في منطقة بحر إيجة بين جبلي آثوس وإيدا، وبسبب هذا فقد سيطر الجبل على المنطقة المحيطة به والتي كانت دائماً ما تجتاحها العواصف، ولهذا لم يكن غريباً أن يسود الإعتقاد بأن الآلهة الساموثراكية تسيطر على البحر والرياح والعواصف. وحتى عصر أريستوفانيس كان يسود الإعتقاد بأن هذه الديانة تحمي من

---

(٢٤) Susan Cole, op. cit., pp. 6 - 7.

(٢٥) Herodotus, II, 51.

(٢٦) Susan cole, The Samothracian Mysteries, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1978, p. 1.

يعتنقها من العواصف وتحطم السفن وما إلى ذلك[٢٧].

ويبدو أن الحرم المقدس للديانة الساموثراكية ويسمى Temenos قد تم اختياره بناء على الموقع نفسه، فهو عبارة عن منطقة مجوفة بين تلين تشرف على الجبال والبحر، وفي هذا التجويف وجد جدولين للمياه وعدة طبقات من الصخور الملونة. وتقع البوابة التي تعود إلى الحرم المقدس جهة التل الشرقي تليها مساحة دائرية لأداء الشعائر الأولية يليها ممر ذو درجات يقود إلى أسفل قليلاً حيث توجد عدة مبان استخدمت لأداء الطقوس الغامضة. ففي الوسط يوجد «الأناكتورون» Anaktoron وبعده وجد «الأرسينويون» Arsinoeion، ثم يليه «الهيرون» Hieron. كما بنيت خمس غرف على الجانب الغربي للتل مقابل البوابة استعملت لتناول الطعام. وفي أقصى الحرم المقدس وجدت عين ماء استعملت غالباً في طقوس التطهير. وربما يعود الفضل في بناء هذه المباني إلى فيليب الثاني وولده الإسكندر المقدوني ومن بعدهم ملوك البطالمة والسليوقيين، وقد كان لرعايتهم هذه الديانة أثر كبير في تطورها وإنتشارها خلال القرن الثالث ق. م[٢٨].

وتبدأ الطقوس الغامضة عادة بتقدمة للأسرار المقدسة يقوم بها أحد الكهنة لمن يرغبون في تكريس أنفسهم لديانة ساموثراك السرية، كما يقول لنا ليڤيوس[٢٩] «Praefatio Sacrorum»، ثم تستمر الطقوس بعد ذلك على مرحلتين: الأولى تسمى Myesis وتجري في المبنى المسمى Anaktoron، والثانية تسمى Epopteia وتجري في المبنى المسمى Hieron، ويبدو أن المرحلة الثانية كانت تقتصر على عدد محدود ممن اعتنقوا هذه الديانة لأسباب غير مؤكدة حتى الآن، ربما كان من بينها أن من أتموا المرحلة الثانية كانوا أكثر تديناً وأفضل سلوكاً من بقية أقرانهم[٣٠]. ويبدو أن هذه الطقوس كانت تجري ليلاً بسبب كثرة آثار المشاعل والمصابيح التي عثر عليها في الموقع.

أما ماهية هذه الطقوس فهذا غير مؤكد، لكن على ما يبدو فقد كانت تشتمل على رقص وموسيقى وقرابين تصب في بئر مخصص لذلك يقع إلى الجانب الشمالي الشرقي لمبنى الأناكتورون[٣١]. وغالباً فقد كانت الطقوس تنتهي بتقديم وجبة مقدسة في عدة غرف بنيت على الجانب الغربي للتل[٣٢]. ويبدو أنه رغم إنتشار هذه الديانة في العالم اليوناني

---

(٢٧) Aristophanes, Pax, 276 - 86

(٢٨) Susan Cole, op. cit., p. 2.

(٢٩) Livy, 45, 51 - 6, 11.

(٣٠) Diod. Sic., V, 48, 4 - 50; Plutarch, Moralia, 217 c - d, 229 d.

(٣١) Strabo, X, 3, 7. (466 c.).

(٣٢) Susan Cole, op. cit., p. 5.

خاصة في العصر الهللينستي، إلا أن عملية التكريس لم تكن تتم إلا في جزيرة ساموثراك نفسها[٣٣].

يثور الآن تساؤل هام حول الآلهة الساموثراكية، من هم؟ وما هي طبيعتهم؟ وتوجد لدينا مقولة لمن يسمى مناسياس Mnaseas الذي ربما عاش في القرن الثالث ق. م والذي يسمى آلهة ساموثراك بالأسماء التالية: Axieros, Axiokersa, Axiokersos, Kasmilos، ويبدو أنها كانت ألقاباً للآلهة أكثر منها أسماء لهم، وربما أشارت إلى إلهين من الذكور، وإلهتين من الإناث[٣٤].

ورغم عدم معرفتنا الكافية بأصل هذه الديانة السرية ولا كيفية إجراء طقوسها الغامضة إلا أنها من حيث الشهرة والإنتشار تأتي في المرتبة الثانية بعد ديانة اليوسيس السرية، فقد كان حرم ساموثراك واحداً من أهم وأشهر الأماكن الدينية في العصرين الهللينستي والروماني، وقد بدأ الرومان في اعتناق هذه الديانة حوالي القرن الثاني ق. م، ويبدو أنهم قد استمروا في ذلك حتى أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس مرسومه الشهير بتحريم عبادة الآلهة الوثنية في ٣٩١ م[٣٥].

ديانة ميثرا السرية:

يصور الإله ميثرا دائماً وهو يقتل ثوراً، هذا التصويروجد على العديد من قطع الفرسكو والميداليات وبعض التماثيل في أغلب أماكن التنقيب الأثري في الإمبراطورية الرومانية، ويسمى هذا النوع من التصوير Tauroctone أي «ذبح الثور»، وهو شعار الديانة الميثرائية.

أما عن أصول هذه الديانة فقد اختلفت فيها الآراء، وأقدم هذه الآراء يقول بأنها ديانة مزدية من فارس القديمة أخذت شكلها النهائي في آسيا الصغرى خلال العصر الهللينستي[٣٦]. وعلى العكس يوجد رأي آخر يقول بأنها ديانة غربية أخذت الطابع الشرقي بعد إضافة بعض الملامح التي تتميز بها ديانات الشرق الأدنى[٣٧]. أما الرأي الثالث فيقول بأنها ديانة يونانية شرقية الأصل نشأت في سوريا أو بلاد الأناضول في فترة متأخرة من العصر الهللينستي، ثم انتقلت إلى إيطاليا حيث تطورت وأخذت شكلها الروماني[٣٨].

---

(٣٣) Ibid., p. 6.

(٣٤) Preserved by the Scholia Laurentiana to Apollonius of Rhodes Argonautica, 1. 9. 7, apud Susan Cole, op. cit., p. 7 note 10.

(٣٥) Susan Cole, op. cit., pp. 6 - 7.

(٣٦) Franz Cumont, The Mysteries of Mithra, Chicago 1903, p. 15.

(٣٧) Howard Teeple, The Cult of Mithras Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1988, p. 3.

(٣٨) Ibid., Loc. cit.

والرأي الأول به الكثير من نقاط الضعف، فالديانة الفارسية (المزدية) تفتقد للكثير من ملامح الديانة الميثرائية الرومانية، بالإضافة إلى أنها لم تكن ديانة أسرار كديانة ميثرا الرومانية.

أما الرأي الثاني فبالرغم من أنه لاقى بعض القبول إلا أنه يحوي أيضاً العديد من نقاط الضعف مثل:

ـ كل ديانات الأسرار التي احتوت على عناصر شرقية وغربية معاً، تكونت عن طريق إنتقالها من الشرق إلى الغرب وليس العكس، كما أن إدخال عناصر شرقية على ديانة رومانية لم يكن بالتصرف المنطقي الذي يقوم به الرومان.

ـ الديانة الميثرائية الرومانية معقدة بدرجة تجعل من الصعب القول بأنها قد انبثقت فجأة من لا شيء، فلا بد وأنها قد تطورت عبر فترة طويلة من الزمن.

ـ مشكلة أخرى تواجه نظرية الأصل الغربي للديانة الميثرائية حيث أن دعاتها يفترضون أن هذه الديانة قد بدأت حوالي ١٠٠ م، وهو تاريخ أقدم اكتشافات أثرية تتعلق بهذه الديانة، لكن دعاة هذا الرأي يقعون هنا في مصيدة تفسير الاكتشافات الأثرية تفسيراً تاريخياً خاطئاً، فبهذا المنطق يمكن لنا القول بأن المسيحية لم تبدأ إلا في التاريخ الذي تعود إليه أقدم الكنائس التي عثر عليها، وهذا يعني إسقاط قرنين على الأقل من التاريخ الحقيقي لبداية المسيحية، فالميثرائيون الأول يمكن أن يكونوا قد عقدوا إجتماعاتهم في منازلهم مثلهم في ذلك مثل المسيحيون الأول الذين لم تترك منازلهم التي استعملوها ككنائس أي بقايا أثرية. وأكثر من ذلك يمكن القول بأن إجتماعات عبدة ميثرا الأول كانت تعقد خارج المنازل ليلاً، وذلك إذا ما أخذنا في الإعتبار أن المثرائية الرومانية كانت تهتم في الأساس بالسماء والأبراج والشمس والقمر[٣٩]. أما الرأي الثالث فيبدو أنه أقرب الآراء إلى المنطق حسبما سيتضح من العجالة التالية.

وإذا ما تتبعنا ظروف الإله ميثرا في الإمبراطورية الفارسية للتحقق مما إذا كانت ديانته تحمل قدراً من ملامح الديانة الميثرائية الرومانية لوجدنا أن ميثرا قد ظهر في ديانة عبادة الطبيعة الهندو أوروبية القديمة قبل أن يحاول زرادشت تطويرها. وقد استبعد زرادشت ميثرا من دعوته الدينية، ورغم ذلك وردت بعض الإشارات إلى ميثرا في كتابه المقدس «الأفستا» Avesta وخاصة في الأناشيد ٣٥ ـ ٤٢ (Gathas)، إلا أن أغلب الدارسين يميلون إلى الإعتقاد بأن هذه الأناشيد دخيلة على الكتاب المقدس «الأفستا» ولم يقم زرادشت بكتابتها، بل كتبها بعض كهنته بعد موته حتى يحققوا قدراً من الموائمة بين الزرادشتية والديانات القديمة الموجودة[٤٠].

---

(٣٩) Ibid., pp. 3 - 4.

(٤٠) R. C. Zaehner, The Dawn and Twilight of Zoroastrinism, London 1961, p. 62.

وتنقسم «الأفستا» الزرادشتية إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ ياسنا Yasna ويحتوي على الأناشيد Gathas.

٢ ـ ياشت Yashts وهي عبارة عن إبتهالات وأدعية للآلهة ومديح لها.

٣ ـ ڤيديڤدات Videvdat وهو عبارة عن شرح لطقوس الديانة الزرادشتية.

وفي الإبتهال العاشر من «الياشت» يظهر ميثرا كإله متطور عما ظهر عليه سابقاً في الأناشيد «Gathas»، مما يمكن أن نسيمه عودة إلى عناصر الديانة القديمة التي كانت ما تزال موجودة جنباً إلى جنب مع الزرادشتية، مع تطعيمها ببعض عناصر من عبادة رموز الطبيعة القديمة جداً. وفي هذا الإبتهال يظهر ميثرا كإله للحرب، يدمر الأعداء ويمنح النصر لمن يعبده، وهو يحمي الفقراء والضعفاء ويجري الماء وينضج المحاصيل، وهو مانح الحياة نفسها الذي يسكن في السماء. يعبده من يبحث عن الحقيقة بجانب عبادة «أهورا مزدا» «Ahura Mazda» (الإله الأكبر الحكيم)، وهو ليس الشمس ولكنه النور الذي بداخل الشمس والقمر والنجوم، وإجمالاً هو إله النور أرسله الإله الأكبر «أهورا مزدا» كي يعتني بالكون أجمع[٤١].

أي أن الأله ميثرا في الديانة الفارسية القديمة لم يكن هو الإله الرئيسي بل كان واحداً ضمن عدة آلهة، ويقول هيرودوت أن الفرس لم يكن لديهم تماثيل أو معابد أو مذابح لآلهتهم[٤٢]، لكن يبدو أن قد حدث بعض التطور، فيلاحظ سترابون بعد ذلك بحوالي أربعة قرون ونصف أن التضحيات كانت تقدم في معبد النار، حيث كانت توقد نار يراعى أن لا تنطفىء أبداً، وكانت الصلوات تؤدى نهاراً حيث يؤدى عبدة ميثرا مجموعة من التراتيل لمدة ساعة تقريباً وهم ممسكون بحزمة من العصى ويرتدون على رؤوسهم غطاء رأس من اللباد ينسدل من الجانبين ويغطى الفم حتى لا يطفئوا النار ولو بدون قصد[٤٣].

وقد أكدت الإكتشافات الأثرية وصف سترابون، فقد عثر على نحت بارز يعود للقرن الخامس ق. م في داسكليوم Dascylium في غرب الأناضول يصور اثنان من المجوس الفرس (Magus, Magi) يقومان بتقديم أضحية، وكل منهما يمسك بحزمة من العصى (ربما كانت جذوع نبات ما) وأمامهما رأسا كبشين بينما يتدلى رأس الثور المذبوح (شعار ديانة ميثرا) من أعلى المذبح، وكانا يرتديان نفس غطاء الرأس أو القناع الذي وصفه سترابون[٤٤]. وهذا الشكل من الطقوس يمكن القول بأنه بعيد كل البعد عن الميثرائية الرومانية.

وإذا كان للديانة الميثرائية الرومانية بعض الجذور في ديانة ميثرا الفارسية، فمن

---

(٤١) Ibid., p. 110.

(٤٢) Herod., I, 131.

(٤٣) Strabo, XV, 3. 15.

(٤٤) M. Vermaseren, Mithras: The Secret God, New York, 1963, p. 21, Fig. 1.

المستبعد أن يكون الرومان قد استعاروا هذه الملامح مباشرة من الزرادشتية، بل غالباً ما أخذوا عن الشكل الهللينستي للديانة، والذي فيه تحولت الميثرائية إلى ديانة أسرار ثم أخذت شكلها الروماني النهائي. فعندما اتخذ ملوك فارس من الزرادشتية ديانة رسمية لهم اضطر كهنة الديانة القديمة المجوس(Magi) إلى الهجرة إلى مناطق جديدة مثل بابل وسوريا، حيث نشروا عبادة ميثرا.

وفي الفترة ما بين فتوحات الإسكندر إلى بداية الإمبراطورية الرومانية (٣٣٠ ق. م - ٢٧ ق. م) حدث تطور كبير فيما يخص ديانة ميثرا، فقد تحول ميثرا إلى إله لا يخضع لإله آخر أو حتى يتساوى معه كما في حالة «أهورا مزدا» وأصبح هو الإله الرئيسي لملوك الأناضول وجنوب سوريا، حتى أنهم أطلقوا على أنفسهم اسم ميثرا نفسه بما يحمله من إشارة إلى الحرب والنصر على الأعداء. وتحت حكم الملوك الميثراداتيين التقت الثقافتان اليونانية والفارسية في الأناضول، وقد اتبع آخر ملكين ميثراداتيين وهما ميثراداتيس الخامس والسادس - اللذان حكما وسط الأناضول في الفترة من ١٥٠ - ٦٣ ق. م - سياسة مفادها التشبه والإقتراب من الحضارة الهللينستية والرومان، ولذا فإن العديد من ملامح الديانة الميثرائية الرومانية تظهر تأثيراً يونانيا، وحتى الصيغة اللاتينية لإسم الإله Mithras غالباً ما أخذت عن الشكل اليوناني له "Μιθρης" (٤٥).

ويوجد دليل أدبي على أن الديانة الميثرائية كانت ديانة سرية حتى فيما قبل الرومان خلال القرن الأول ق. م في الأناضول، فيخبرنا بلوتارخ أن قراصنة كيليكيا الذين هاجمهم بومبيوس في ٦٧ ق. م يضحون بأضحيات غريبة ويقومون بطقوس تكريسسية غامضة للإله ميثرا على جبل يسمى Olympos في ليكيا(٤٦).

كما يوجد دليل أدبي آخر على أن ديانة ميثرا في الأناضول كانت ديانة أسرار، فعندما زار تريداتيس Tiridates ملك أرمينيا روما في ٦٦ م ليقسم على الولاء للإمبراطور نيرون، يقول بليني بأنه قد أشرك معه الإمبراطور في وجبة مقدسة، كما يقول ديوكاسيوس بأنه أقسم بإلهه ميثرا(٤٧).

ولا تثير فرضية أن الأناضول هي مهد ديانة ميثرا السرية الدهشة، لأن الأناضول وسوريا كانتا مهد ديانة كيبيلي وأتيس والإلهة السورية أتارجاتيس Atargatis، وقد أصبحتا ديانتان سريتان.

وهكذا فقد إنتقلت ديانة ميثرا السرية من الإمبراطورية الفارسية إلى ملوك الأناضول،

---

(٤٥) Howard Teeple, op. cit., pp. 5 - 6.

(٤٦) Plutarch, Vitae, Pompey, 24 - 7.

(٤٧) Pliny, N. H., 30. 1.6; Dio Cassius, 62 [63]. 5. 2.

ومنهم إلى الإمبراطورية الرومانية حوالي ١٠٠ م حيث انتشرت إنتشاراً واسعاً.

أما عن الفترة الزمنية التي استغرقتها ديانة ميثرا، فيبدو أنها قد استمرت حوالي الألفي سنة، فأقدم ذكراً لميثرا وجد في قصر حيثي في آسيا الصغرى على أحد الألواح التي تعود إلى القرن الرابع عشر ق. م، حيث سجلت معاهدة بين الحيثيين وجيرانهم الميتانيين، وكان ميثرا هو حامي المعاهدة. ثم انتقلت هذه الديانة إلى روما عن طريق الأناضول وحظيت بإنتشار واسع خاصة من القرن الثاني الميلادي وحتى الرابع، حتى أنها أصبحت منافساً خطيراً للمسيحية وتحولت إلى الديانة المسيطرة على الإمبراطورية الرومانية(٤٨).

ويظهر الشكل رقم (١٥) خريطة موضح عليها أكثر من أربعمائة موقع في العالم الروماني وجدت بها معابد لميثرا أو أشياء مقدسة ترتبط به، ولا شك أن العدد الأصلي يفوق ذلك بكثير، ففي روما وحدها كان يوجد حوالي مائة مكان مقدس لميثرا، وعلى الأقل خمسة عشر مكان في أوستيا ميناء روما القديم(٤٩).

وطبقاً للمصادر القديمة والتي تؤكدها الأدلة الأثرية، فقد كان هناك سبع مراحل يمر بها من يعتنق ديانة ميثرا، ولكل مرحلة كوكب يحميها من الكواكب السيارة السبعة التي ارتبطت بالإله ميثرا، وهذه المراحل حسب تطورها من أسفل إلى أعلى هي:

١ ـ غراب ويحميه كوكب عطارد.
٢ ـ عروس ميثرا ويحميه كوكب الزهرة.
٣ ـ جندي ويحميه كوكب المريخ.
٤ ـ أسد ويحميه كوكب المشتري.
٥ ـ فارسي ويحميه القمر.
٦ ـ رسول الشمس وتحميه الشمس.
٧ ـ الأب (أو كاهن ومعلم الديانة) ويحميه كوكب زحل(٥٠).

ويبدو أن كل واحدة من هذه المراحل كانت لها طقوس تكريسية معينة تغلب عليها صفة السرية كأغلب ديانات الأسرار، لكن يمكن القول أنها كانت تبدأ بتجرد عبدة ميثرا من ملابسهم ثم تطهير أنفسهم بحرارة النار حتى يولدوا ـ رمزيا ـ من جديد، وغالباً ما كان هذا الطقس يتم مع شروق الشمس حتى يولد الشخص مع أول ضوء. وربما كان الدخول

---

(٤٨) Lowis Hopfe, The Cult of Mithra, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1976, p. 1.

(٤٩) Ibid., p. 2.

(٥٠) Lewis Hopfe, op. cit., p. 5.

لمرحلة «جندي ميثرا» على سبيل المثال يتم عن طريق اختبار شجاعة الشخص ومدى كفاءته إذا ما تم لمسه بالنار.

وبعد ذلك يشارك المتعبدون في تناول وجبة مقدسة تتكون من الخبز والنبيذ الممزوج بالماء ترمز إلى دم وجسد الثور المقدس والتي ستضمن لهم حياة أبدية سعيدة بعد الموت. ويبدو أن هذه الوجبة اعتبرت طقساً سرياً، لذلك فنادراً ما صورت في الفن، إلا أن الشكل رقم (١٦) يظهر لنا نحتاً غائراً يعود للقرن الرابع الميلادي من معبد لميثرا في يوغسلافيا السابقة (مفترض أنه محفوظ بمتحف سيرابيڤو) يوضح هذا الطقس: الأشخاص الواقفون يرتدي كل منهم قناعاً يوضح رتبته في الديانة وهم من اليسار إلى اليمين: الغراب، الفارسي، الجندي والأسد، أما الإثنان المصوران في الوسط مضطجعان على أريكة ومغطيان بجلد الثور المقدس فربما كانا رسول الشمس والأب[٥١].

ومن الواضح أن الميثرائية كانت شائعة بين عدد من أباطرة الرومان، فقد نالت تأييدهم ودعمهم المادي والمعنوي مثل: كومودوس، سبتميوس سڤيروس، كاركلا وديوكليتيان. وعندما تولى قنسطنطين العرش في ٣١٢ م تبنى المسيحية كديانة للإمبراطورية الرومانية وأبطل عبادة ميثرا، إلا أن جوليان عندما تولّى العرش (٣٦١ ـ ٣٦٣ م) أعاد هذه العبادة، إلا أنها لم تعد بنفس قوتها السابقة، وشهدت السنوات التالية بضع تقدمات لميثرا، إلا أن الديانة السرية كانت من الناحية العملية قد ماتت وهدمت معابدها وبنيت فوقها كنائس جديدة[٥٢].

إيزيس وسارابيس:

نشأت ديانة إيزيس وسارابيس بشكلها اليوناني الروماني في مصر مع بداية حكم ملوك البطالة، وكانت عبارة عن توليفة من ديانات الأسرار اليونانية مع مزجها بعناصر من الديانة المصرية القديمة، ومن مصر انتشرت هذه الديانة في حوض البحر المتوسط حتى وصلت شمالاً إلى ألمانيا وبريطانيا. وقد أصبح نفوذها من القوة ـ خاصة خلال بدايات الإمبراطورية الرومانية ـ إلى حد أن أصبحت منافساً خطيراً للمسيحية الوليدة. وفي الديانة المصرية القديمة التي انبثقت عنها ديانة إيزيس وسارابيس وجدت ثلاثة آلهة هامة هي إيزيس وأوزوريس وحورس.

وكانت الآلهة إيزيس هي المعبود الرئيسي في هذه الديانة، ويظهر الشكل رقم (١٧) تمثالها الموجود بمتحف الكابيتول في روما، والذي احتفظ بالكثير من خصائصها المصرية

---

(٥١) Ibid., p. 6.

(٥٢) Ibid., p. 7.

مثل تاج اللوتس وعقدة إيزيس على الصدر والشخاشيخ «Sistrum» أما الإله الثاني فكان سارابيس الذي لم يلعب دوراً هاماً في الديانة المصرية القديمة، ومن الواضح أن بطلميوس ومستشاروه لم يخلقوا هذا الإله من العدم، لتحقيق أهدافهم السياسية، وإنما في الغالب كان هو الإله المحلي لقرية ـ راكوتيس التي بنيت مكانها الإسكندرية، وقد اشتق إسمه من الصيغة Osorapis أو Apis ----- Osiris التي توحي بصلته بالإله أوزوريس من جهة، وبالإله أبيس من جهة أخرى، وهو الثور المقدس لمدينة منف(٥٣).

أما ثالث الآلهة فكان حورس الذي انتشرت عبادته في مصر الفرعونية خاصة في الدولة الحديثة، ووصلت إلى أقصى انتشار لها في العصرين اليوناني والروماني.

ويوضح الشكل رقم (١٨) خريطة لأماكن إنتشار ديانة إيزيس وسارابيس السرية في العالم اليوناني الروماني، وهي أماكن انتشرت من يورك في بريطانيا وأمبورياس في إسبانيا غرباً إلى أنطاكية والأقصر شرقاً.

أما عن العبادة أو طقوس هذه الديانة السرية فهي تبدأ كل صباح حيث يجهز الكهنة تمثال الإلهة للطقوس الصباحية، ويصف لنا أبوليوس تجربة واحد من عبدة إيزيس قائلاً:

«ذهبت إلى المعبد، وعندما انكشفت الستائر البيضاء وظهر تمثال الإلهة، بدأت في الصلوات أمام وجه الإلهة المقدس، وفي هذه الأثناء كان الكاهن يقوم بالطقوس المقدسة على كل المذابح الموجودة، مع تلاوة صلاة خاشعة مهيبة، ثم أحضر الماء المقدس من الحجرة الداخلية للمعبد، وقدم تقديمات»(٥٤).

ومثل كل الديانات السرية عرفت ديانة إيزيس وسارابيس الوجبة المقدسة، حيث كانت تقدم لمن يعبدهم أمام تمثال الإله أو الإلهة أو أمامهما معاً، والشكل رقم (١٩) يظهر بردية من القرن الثاني الميلادي عبارة عن دعوة لحضور إحدى هذه الوجبات، وتقول الدعوة:

«خايريمون يدعوك للعشاء على مائدة سارابيس المعظم في السيرابيوم غداً، الخامس عشر، في الثالثة بعد الظهر»(٥٥).

في النهاية يمكن القول بأن ديانة إيزيس وسارابيس قد تطورت من ديانة مصرية محلية، إلى ديانة عالمية، وكديانة أسرار يونانية استمرت حوالي السبعة قرون (٣٠٠ ق. م ـ

---

(٥٣) Robert Wild, The Isis - Sarapis Cult, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1978, pp. 1 - 3.

Cf. R. E. Witt, Isis in the Ancient World, Ithaca, Cornell University press, 1971, passin.

(٥٤) Apuleius, Metamorphoses, 11. 20.

(٥٥) P. Oxy., 110. cf. Robert Wild, op. cit., p. 5.

٤٠٠ م)، لكن كما سبق القول فقد كانت جذورها المصرية أقدم من ذلك بكثير. وساعد على إنتشارها نوعية الفكر الديني الذي قدمته، فقد أمنت هذه الديانة لمن يعتنقها الرفاهية والحماية والخلاص الأبدي، وبذلك نافست العديد من ديانات الأسرار الأخرى، بل ونافست حتى المسيحية في صورتها الأولى(٥٦).

الأسرار الأورفية:

الأورفية هي حركة يونانية ذات طابع فلسفي ديني، تأسست أصلاً في اليونان وكريت وجنوب إيطاليا، فأورفيوس لم يعبد كإله، ولم تكن لهذه الديانة معابد، ورغم هذا فقد كان لها معتقدات دينية محددة وطقوس للتطهير والتكريس كما كان لها مبشروها الجوالون. ورغم أن الأورفية لم تكن منظمة بشكل جيد، إلا أن أغلب الدارسين يصنفونها ضمن ديانات الأسرار(٥٧).

وأورفيوس كما يظهر في الأساطير هو موسيقي من ثراكيا، حصل على الخلود، وأقدم إشارة له تعود إلى القرن السادس ق. م، أما الديانة الأورفية، فقد كانت ديانة المنطق والنظام والزهد والتصوف، وهو إتجاه معاكس تماماً للفجاجة التي ظهرت في ديانات سرية أخرى، مثل ديانة كيبيلي وديونيسوس، وهذا ما ميز الموسيقى والشعر والطقوس الأورفية، فقد كانت تعارض سفك الدماء وتدعو إلى السلام.

وكان للديانة الأورفية السرية أساس فلسفي، كما كان لها أساس ديني، فمثلهم مثل الفيثاغوريين، آمنوا بفكرة تقمص الروح، وأن الأرواح تقبر أو تحبس داخل الجسد (الجسد ما هو إلا مقبرة للروح)، كما آمنوا بالثواب والعقاب في حياة أخرى، ودعوا إلى الطهارة والإمتناع عن أكل اللحم، حتى يعيش الإنسان والحيوان في سلام.

ويبدو أن إحتمال تأثر الفيثاغورية بالديانة الأورفية هو إحتمال قائم، فبالإضافة إلى هذا التشابه، فقد نزح فيثاغوراس في أواخر القرن السادس ق. م إلى شمال إيطاليا حيث كان للديانة الأورفية تواجد بارز ومحسوس(٥٨).

وربما تعود شهرة أورفيوس كموسيقى ومغنى إلى أن التعاليم الأورفية كانت قد وضعت في شكل قصائد شعرية تغنى بمصاحبة الموسيقى وتنسب إلى أورفيوس بشكل تقليدي، وقد كان أفلاطون أول من اقتبس من هذه القصائد(٥٩).

---

(٥٦) Robert Wild, op. cit., p. 7

(٥٧) Larry Alderink, Orphism, Religion and Ethics. Institute, Evanston, U. S. A., 1980, p. 1 and note 1.

(٥٨) Ibid., pp. 1 - 2.

(٥٩) Plato, Symposium, 179 d.; Eurpides, Alcestis, 357; cf. Lary Alderink, op. cit., p. 2 and notes 3 - 5.

وتلعب حادثة موت أورفيوس كما وردت في الأساطير دوراً هاماً في ديانته، حيث مزقت عابدات ديونيسوس من الماينادز Maenads جسد أورفيوس وهن في حالة من الجنون المقدس الذي ينتابهن أثناء أدائهن لطقوس ديانة ديونيسوس السرية، ويفسر بعض الدارسين هذه الأسطورة بالموقف العدائي الذي أخذته الأورفية من النساء، فقد رفض كهنة أورفيوس انضمام النساء إلى هذه الديانة، بالإضافة إلى أورفيوس نفسه كان قد شجع الرجال على هجر نسائهم(٦٠).

وطبقاً للأسطورة فقد قطعت النساء رأس أورفيوس، فطفت الرأس على سطح الماء حتى وصلت إلى جزيرة لسبوس، وتم وضعها على مذبح هناك حيث استمرت تغني وتنظم الأشعار وتتنبأ بالمستقبل لمن يستشيرها. ويظهر الشكل رقم (٢٠) رسماً على إناء فخاري يعود إلى أواخر القرن الخامس ق. م، ويظهر الإله أبوللو هنا ممسكاً بقيثارته وهو يستشير رأس أورفيوس التي تقوم بالتنبؤ له، مما يوحي بأن هذا المكان قد أصبح مركزاً للتنبؤ مثل دلفي، ويوضح تطور الديانة إلى ديانة أسرار.

لقد حقق أورفيوس الخلود لنفسه ـ كما تقول الأسطورة ـ وهكذا فهو سيحققه لمن يتبعه، ويظهر هذا واضحاً من الأشياء التي كانت تدفن مع من اعتنق الأورفية. فقد كانت فكرة الأورفية عن الروح أنها تأتي من الهواء وتستقر في الجسد(٦١)، فالجسد هو عقاب الروح، وإذا ما عاشت الروح حياة أخلاقية طاهرة ومارست التعاليم الأورفية، فسيتحقق لها الخلود وتحيا سعيدة في العالم الآخر، بعكس الأرواح الأخرى التي قامت بأفعال دنسة فتعاقب إلى الأبد.

ولما كانت الروح في حاجة إلى من يرشدها في العالم الآخر، فقد كان يدفن مع من اعتنق الأورفية ألواح أو رقائق من الذهب مكتوب عليها بعض التعليمات للروح، وقد تم اكتشاف العديد منها في كريت وشمال إيطاليا، وتعود إلى الفترة ما بين القرن الرابع ق. م وحتى القرن الثاني الميلادي(٦٢). ويظهر الشكل رقم (٢١) إحدى هذه الرقائق من بيتيليا Petelia بجنوب إيطاليا وتعود إلى القرن الرابع إلى الثالث ق. م وهي تحذر الروح من أن تشرب من نبع النسيان لدى دخولها إلى هاديس بل يجب أن تشرب من بحيرة الذكريات حتى تظل على صلة بوجودها السابق، وهذا يؤكد مرة أخرى فكرة تقمص الأرواح في الديانة الأورفية.

أما عن العبادة نفسها وطقوسها الغامضة فيبدو أن اتباع الأورفية كانوا يجرون طقوسهم

---

(٦٠) Lary Alderink, op. cit., p. 3.

(٦١) Aristot., De Anim., I. 5. 410 b. 28; cf. Apollonius Rhodius, Argonautica, I. 494 - 502.

(٦٢) W. K. C. Guthrie, Orpheus and Greek Religion, Methuen 1952, p. 173.

وهم عراة، رمزاً للطهارة والنقاء، فالإنسان يدخل العالم عند ولادته عارياً ويتركه عارياً، ثم يولد من جديد كروح طاهرة عارية أيضاً[٦٣].

ويبدو أن الأورفية قد أثرت إلى حد ما في اليهودية والمسيحية وبخاصة فكرة العيش بسلام على الأرض. والشكل رقم (٢٢) يظهر لنا قطعة من الفرسكو تعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي وجدت في معبد يهودي بمدينة ديورا ـ أيوروبوس ----- Dura Europos بالعراق مثل عليها المسيح بملابس بارثية يجلس على عرش وأمامه اثنان من الكتبة، وفي أسفل اللوحة يجلس أبناء يعقوب الأثني عشر (رمز الكواكب الأثني عشر في السماء عند الأورفيين) وإلى أعلاهم صور أورفيوس ممسكاً بقيثارته وبجانبه أسد وبعض الحيوانات الأخرى التي جلست في صمت وسلام تستمع إلى غنائه[٦٤].

وانتشرت هذه الفكرة (فكرة العيش بسلام على الأرض) في المسيحية، فإقترن أورفيوس كصانع للسلام بالمسيح كداعية له، ويظهر هذا المزيج على قطعة من الموزاييك (شكل رقم ٢٣) وجدت في طرسوس تعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، وغالباً كانت جزءاً من أرضية كنيسة، والموزاييك يمثل أورفيوس ومعه الحيوانات المفترسة التي أصبحت وديعة تماماً، وكونه يظهر في كنيسة دليل واضح على إقترانه بالمسيح.

ديانة كيبيلي وأتيس السرية:

كيبيلي الأناضولية هي إلهة الجبال والغابات خاصة في فريجيا (وسط تركيا حاليا)، وكانت تصور غالباً بصحبة عدد من الأسود التي اشتهرت بها منطقة فريجيا. وقد انتشرت ديانة كيبيلي في مدن مثل ساردیس، فوكايا، وسميرنا وبيرجامون، وهي مدن استوطنها اليونانيون الأيونيون، والذين بالتالي حملوا معهم كيبيلي إلى مختلف أجزاء حوض البحر المتوسط. وبحلول القرن السابع ق. م أصبحت كيبيلي معروفة تماماً لليونانيين.

وكان رفيق كيبيلي في الأساطير هو أتيس وهو راع للأغنام من فريجيا، وحسب الأسطورة فقد قادته كيبيلي إلى الجنون، فقام بقطع أعضاؤه التناسلية ومات[٦٥].

ويظهر الشكل رقم (٢٤) الإلهة كيبيلي وهي تبكي حبيبها أتيس ثم تقوم بتحويله إلى شجرة صنوبر أو سرو، والقصة كما هو واضح ترتبط بالجنس كرمز لإستمرارية الحياة، ودورة النبات من نمو ثم موت ثم بعث من جديد، بالإضافة إلى أن شجر الصنوبر أو السرو الدائم الإخضرار كان رمزاً للحياة الدائمة الخالدة.

---

(٦٣) Larry Alderink, op. cit., p. 6.

(٦٤) Larry Alderink, op. cit., p. 7. cf. Old Testament, Gen., 48 - 49.

(٦٥) Paul Gehl, Cybele and Attis, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1980, pp. 1 - 2.

وفي عبادة كيبيلي وأتيس أي في الطقوس الغامضة، كان جنون أتيس، ونواح كيبيلي نموذجاً أو مدخلاً للرقصات المتهتكة وطقوس الخصى، ثم مراسيم الدفن والتي كانت تصاحبها المزامير والصنوج والطبول. وربما كانت قصة ميلاد أتيس وموته والتي ارتبطت في فريجيا بالقتل والجنون. والخصاء غير مقبولة إلى حد ما في بلاد اليونان، لذا فقد تمحورت الديانة في اليونان حول كيبيلي، وأصبح أتيس غير ذي أهمية، فعلى حين وجد معبد لكيبيلي في أثينا يعود إلى القرن السادس ق. م، وغيره في دلفى وطيبة وبيرايوس تعود إلى فترات أسبق، لم يرد ذكر أتيس في اليونان ـ فيما قبل العصر الروماني ـ إلا ثلاث مرات فقط(٦٦).

وقد أضاف اليونانيون رفيقاً غير أتيس للإلهة كيبيلي، ففي أتيكا على سبيل المثال كان رفيقها بان وأحياناً نمفيس، وفي أيونيا كان رفيقاها: شاب صغير يحمل إناء ماء (هيرميس)، وفتاة تحمل مشعلاً (هيكاتي). وكان الشكل اليوناني لعبادة كيبيلي رصينا عن مثيله الفريجي الذي حفل بالرقصات المتهتكة وطقوس الإخصاء، وكان الطقس ينتهي في الغالب بمأدبة يشارك فيها الجميع بتناول الوجبة المقدسة(٦٧).

ثم إنتقلت ديانة كيبيلي إلى روما في ٢٠٤ ق. م، وذلك عندما تم نقل تمثال للإلهة إليها حيث قوبلت بترحاب كبير. فعندما كانت إيطاليا تقاسي مرارة الحروب البونية ظهرت نبؤة في روما تقول بأن الغزاة الأجانب محكوم عليهم بالهزيمة المنكرة إذا ما نقلت الإلهة كيبيلي إلى روما، فرحلت بعثة رومانية في ٢٠٥ ق. م إلى بيرجامون وطلبت من الملك أتالوس الأول نقل تمثال الإلهة إلى روما، حيث وصلتها في إبريل ٢٠٤ ق. م، ووضع التمثال في معبد النصر على تل البالاتين حتى تم بناء معبد خاص لها افتتح في ١٩١ ق.م. وكان يقوم على رعايته كاهن أسيوي يشترط فيه أن يتم خصاؤه في إشارة إلى الأسطورة القديمة(٦٨).

وتم تحديد العيد السنوي للإلهة كيبيلي بتاريخ وصولها إلى روما أي ٤ أبريل، بالإضافة إلى ١٠ أبريل وهو تاريخ افتتاح معبدها وكان هذا العيد يشتمل على مواكب ومآدب وإحتفالات درامية.

وحتى عصر أوغسطس وخليفته تبريوس كانت ديانة كيبيلي تكاد تكون ديانة أرستقراطية، ويعتبر الإمبراطور كلوديوس (٤١ ـ ٥٤ م) أول من حاول تحويل هذه الديانة إلى ديانة تشترك فيها طوائف عدة من الشعب، كما تزايد الإهتمام بأتيس رفيق كيبيلي وتم

---

(٦٦) Paul Gehl, op. cit., p. 2.

(٦٧) M. J. Vermaseren, Cybebe and Attis, Myth and Cult, Thames and Hudson, London 1976, p. 62 FF.

(٦٨) Paul Gehl, op. cit., pp. 3 - 4.

إضافة يومين للعيد السنوي للإحتفال به، ففي اليوم الأول من الإحتفال كان معتنقوا الديانة يتوجهون إلى الغابة المقدسة ويقومون بقطع أفرع من شجر الصنوبر (وهو من رموز أتيس) وتحمل في موكب إلى معبد كيبيلي حيث تزين، وفي اليوم التالي يقوم الكهنة والكاهنات بتمثيل طقوس الإخصاء، ثم يقوموا بدفن أفرع الصنوبر التي ترمز لأتيس(٦٩).

ويعتبر معبد كيبيلي وأتيس في أوستيا من أكبر معابدها ويعود إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، وعثر فيه على تمثال يمثل أتيس الذي انتصر على الموت (شكل رقم ٢٥)، وقد تم إهداؤه إلى المعبد في فترة حكم أنتونينوس بيوس (١٣٨ ـ ١٦١ م)، وأتيس هنا يرمز للبعث والخلاص، والتمثال مزين بالأزهار وحبوب القمح وأغصان الصنوبر ونبات الخشخاش، والكل بالطبع يوحي بفكرة دورة النبات وخصوبة الأرض.

وتنفرد ديانة كيبيلي بوضع متميز بين ديانات الأسرار العديدة، فقد كانت ضمن الديانات الرسمية للدولة خلال العصر الجمهوري، كما أنها قد حظيت بإهتمام العديد من الأباطرة فيما بعد على مدى ثلاثة قرون تقريباً. وقد أضاف الإمبراطور أنتونينوس بيوس إلى هذه الديانة طقساً جديداً يسمى Taurobolium ويتضمن التضحية بأحد الثيران، وربما كان هذا تأثير أسيوي، وأحياناً ما كان يتم الإحتفاظ بالأعضاء التناسلية للثور. وخلال الفترة الأخيرة من القرن الثالث وربما الرابع الميلاديين، أخذت التضحية شكلاً يشبه تعميد أتباع كيبيلي بدم الأضحية(٧٠).

أسرار الإلهة السورية:

وهي ديانة ازدهرت في الحوض الشرقي للبحر المتوسط خلال الفترة من القرن الأول ق. م وحتى القرن الثاني الميلادي، ومع بداياتها لم تكن هذه الديانة سرية، لكن التأثير اليوناني حولها إلى ديانة سرية، على الأقل في بعض أماكن مثل ثوري Thuri في اليونان. وكانت الإلهة السورية تدعى «أتارجاتيس» Atargatis، لكنها عرفت في العالم الروماني بإسم «الإلهة السورية» Dea Syria.

إنتشرت عبادة الإلهة السورية في الشرق الأدنى في مدن مثل هييرابوليس Hierapolis أو المدينة المقدسة بالقرب من نهر الفرات، وحلب وصيدا وبطلمية وإسكالون، وإلى الشمال الشرقي من البحر الميت في مملكة الأنباط في «خربت تنور» Khirbet Tannur، وفي بالميرا وديورا ـ إيوروبوس Dura Europos(٧١) بالقرب من نهر الفرات، وفي مدينة بارثية

---

(٦٩) وربما كان هذا أصل فكرة شجرة الكريسماس عند المسيحيين الغربيين.

(٧٠) Paul Gehl, op. cit., p. 7.

(٧١) تم تأسيس ديورا ـ إيوروبوس كحصن عسكري سليوقي حوالي ٣٠٠ ق. م، ثم ازدهرت بسبب موقعها التجاري الهام، وفتحها الرومان ١٦٥ م.

تسمى «هاترا» Hatra فيما بين دجلة والفرات.

وحمل العديد من التجار ديانة الإلهة السورية أتارجاتيس إلى كثير من مناطق العالم الجديد، بالإضافة إلى مجموعات من الخصيان كانت تتجول في المنطقة داعية إلى هذه الديانة، والذين اكتسبوا سمعة سيئة بسبب قيامهم بجلد أنفسهم أثناء أدائهم لطقوس هذه الديانة، وعلى ما يبدو فقد احتوت هذه الديانة على الكثير من تعاليم الزهد الجنسي، رغم أن أتارجاتيس قد عرفت بأنها إلهة الخصوبة في البر والبحر(٧٢).

ويوضح الشكل رقم (٢٦) الإلهة أتارجاتيس مع رفيقها حداد Hadad في نحت بارز وجد في بقايا معبدها في ديورا - إيوروبوس ويعود لحوالي القرن الثاني الميلادي، وقد خضعت مدينة ديورا - إيوروبوس للعديد من المؤثرات السورية واليونانية الرومانية واليهودية والمسيحية، وفي مثل هذا المجتمع المتعدد التأثيرات كان طبيعياً أن تزدهر ديانة أتارجاتيس، وهنا تبدو الإلهة جالسة بين أسدين، ويظهر حداد جالساً على عرش وبجانبه أحد الثيران، والملاحظ أنه قد صور في حجم أصغر من الإلهة نفسها.

أما أصل هذه الديانة فهو غير واضح، فالإلهة أتارجاتيس ورفيقها حداد يحملان ملامح من الآلهة الميسوبوتامية والسورية والكنعانية، فأتارجاتيس تشبه إلى حد بعيد كيبيلي الفريجية، وعشتار البابلية، ويبدو أن اسمها قد أتى من إضغام لعدد من الأسماء، مثل الإلهة الكنعانية عشتارت وإنات والشرى، أما إسم حداد فيبدو أنه قد أتى من الإله البابلي أداد(٧٣). وأحياناً ما كانت أتارجاتيس تدعى «دركتو» Derketo، فيخبرنا ديودوروس الصقلي أنها كانت تعبد تحت هذا الإسم في مدينة أسكالون مع حيوانها البحري المقدس «الدرفيل»(٧٤).

وكانت جزيرة ديلوس أحد أشهر مراكز ديانة أتارجاتيس، ففي الفترة التالية للقرن الثاني ق. م. تحولت ديلوس إلى مركز تجاري وديني في بحر إيجة وبخاصة أنها تحولت إلى سوق عالمية للعبيد، وغالباً فقد أدخل تجار العبيد السوريون هذه الديانة إلى الجزيرة. ويظهر الشكل رقم (٢٧) معبد الإلهة أتارجاتيس في الجزء العلوي إلى اليمين فوق المسرح (منظر من الجو)، وكان المعبد يحتوي على بحيرة مقدسة تربى فيها الأسماك أحد رموز هذه الديانة، والتي غالباً ما كانت تشكل العنصر الأساسي في الوجبة المقدسة التي يشارك فيها أتباع أتارجاتيس.

---

(٧٢) Apuleius, Metamorphoses, VIII.

(٧٣) Robert Oden, The Syrian Godess, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1980, p. 2.

(٧٤) تقول الأسطورة أن أتارجاتيس سقطت في بحيرة فتحولت إلى درفيل وتحولت ابنتها سميراميس إلى حمامة، ولهذا كان الدرفيل والحمام من الرموز المقدسة في ديانتها.

Cf. Diod. Sicul., II, 4, 2 - 6; II, 20, 1 - 2; Ovid, Metam., IV, 44 - 48.

ومما يؤكد استمرارية هذه الديانة لفترة طويلة اكتشاف بعض قطع من العملات البرونزية سكت في عصر الإسكندر سڤيروس (٢٢٢ ـ ٢٣٥ م) وعلى وجهها صورة الإمبراطور، وعلى الظهر صورت أتارجاتيس مع رفيقها حداد، وتحتهما نقش يقول «الآلهة السورية لأهل هيرابوليس»(٧٥).

ويبدو أن الطقوس الغامضة لديانة أتارجاتيس لم تكن منتظمة أو محددة تماماً، إلا أنه وجد على الأقل عدد من الكهنة الخصيان يهتمون بتمثال أو صورة الإلهة، الذي كان يُغسل مرتين في العام كطقس تطهيري يقوم به عبدتها بمصاحبة الرقص والموسيقى حتى يتحولون إلى حالة من الإنجذاب المقدس، وقد يقوم بعضهم بقطع أعضاؤهم التناسلية، أو على الأقل يتظاهرون بذلك، ثم ينتهي الإحتفال بوجبة مقدسة غالباً ما كان أحد عناصرها هو السمك(٧٦).

ديانات الأسرار والمسيحية:

تثير مشكلة العلاقة بين ديانات الأسرار القديمة والمسيحية الكثير من الجدل، مثلها في ذلك مثل كل المشكلات الدينية. فوجهة النظر المسيحية التقليدية تقول بأن الديانات الوثنية التي تعد تابعيها بالخلاص، وبحياة أبدية سعيدة بعد الموت، لم يكن لها أي تأثير على المسيحية، لأن القبول بمثل هذا التأثير يصيب المسيحية نفسها في مقتل.

ولهذا فقد تمت عدة محاولات لتفسير التشابه الواضح بين بعض الأفكار والطقوس المسيحية ومثيلتها في ديانات الأسرار، وأقدم هذه المحاولات يعود إلى القرن الثاني الميلادي وقام بها القديس «چوستين» والذي قال بأن الديانات السرية هي التي أخذت عن المسيحية وليس العكس، إلا أن هذا الرأي لا يستحق حتى عناء مناقشته لأن الأدلة الأثرية والتاريخية تثبت أن ديانات الأسرار هذه تعود إلى ما قبل المسيحية بكثير.

والتفسير الأحدث لكليمنت السكندري يقول بأن كتاب المسيحية الأوائل استعملوا اصطلاحات وألفاظ معروفة ومتداولة في المجتمع الوثني حتى يمكنهم الوصول إلى المتلقي العادي البسيط، وبهذا الرأي يمكن تفسير التشابهات اللفظية، لكن تظل مشكلة تشابه بعض المعتقدات والطقوس في حاجة إلى تفسير(٧٧).

ومع بدايات القرن العشرين ساد التفسير القائل بأن آباء الكنيسة الأول قد استعاروا

---

(٧٥) Robert Oden, op. cit., p. 4.

(٧٦) Ibid., pp. 4 - 7; Cf. Nelson Glueck, Deities and Dolphins, New York 1965, pp. 316, 338 - 339.

(٧٧) Justin I Apology, 66; Clement of Alexandria, Exhortation to the Grecks, 12. Cf. Howard Teeple, The Mystery Religion and Christianity, Religion and Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1980, p. 1.

معتقداتهم وطقوسهم الأساسية من الديانات السرية القديمة، وبالتالي فمن الممكن القول بأن المسيحية نفسها ليست إلا ديانة سرية أخرى[٧٨]. ولحساسية الموضوع فيجب مناقشته بحذر ولكن بشكل موضوعي تماماً. وأول سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل نظر المسيحيون الأول إلى ديانتهم على أنها ديانة سرية؟

تجدر الإشارة هنا إلى أن آباء الكنيسة الأول قد استعملوا ألفاظاً مثل «سر مملكة الإله»[٧٩]، و «كلمة الإله»، و «السر المخبأ لقرون طويلة ثم تم كشفه للقديسيين»[٨٠]، إلا أنه رغم استعمال مثل هذه الألفاظ، فالسرية هنا تعبر عن تفسير لمعتقد مسيحي، وليس مجموعة من الطقوس الغامضة كما في الديانات السرية، وبالتالي يمكن القول أن المسيحيون الأول لم ينظروا إلى ديانتهم على أنها ديانة سرية. هذا بالإضافة إلى بعض الإختلافات الواضحة بين الطقوس المسيحية والطقوس الغامضة للديانات السرية مثل:

- في الديانات السرية يتم التكريس والتلقين بشكل سري، بينما في المسيحية تتم الطقوس بشكل علني.
- لم تمارس المسيحية التضحية بالحيوانات كما في طقوس الديانات السرية.
- الرموز المقدسة التي ظهرت في الديانات السرية لم تتواجد بشكل واضح في المسيحية.

ويمكن تصنيف بعض أوجه التشابه بين المسيحية والديانات السرية على أساس نوعين من التشابه:

النوع الأول: تشابه عرضي يتمثل في الملامح المشتركة بين هذين النوعين من الديانة، مثل فكرة التآخي بين أتباع كل ديانة منهم، وفكرة التعميد أو التكريس والتلقين والتطهير بواسطة الماء. إلا أنه يمكن القول بأن التعميد المسيحي بدأ بشكل مستقل عن الديانات السرية، فقد ارتبط في الأساس بفكرة التوبة التي ربما توحي بأصول يهودية[٨١]، أو بموت النفس الشريرة وحلول النفس الصالحة محلها في الجسد[٨٢].

أما فكرة قيام المسيح وصعوده إلى السماء فقد قامت بمعزل عن الديانات السرية، هذا رغم وجودها في ديانة ميثرا مثلاً، وربما ارتبطت أكثر باليهودية التي كان أتباعها يعتقدون أن

---

(٧٨) Howard Teeple, op. cit., pp. 1 - 2.

(٧٩) New Testament, Mark 4: 11.

(٨٠) Colossians 1: 16; Cf. I Cor. 2: 7.

(٨١) Acts 2: 38. Cf. Howard Teeple, op. cit., p. 2.

(٨٢) Rom., 6: 2 - 4.

الله قد، أخذ إلى جانبه عدداً من أنبياء اليهود[٨٣].

ورغم هذا لا يمكن إنكار أن هناك بعض الملامح في المسيحية الأولى تمت إستعارتها من الديانات السرية، فقد كان المسيحيون الأول بالطبع من الوثنيين الذين تمت هدايتهم، وفي الغالب كانوا إما من أتباع إحدى الديانات السرية أو على الأقل لديهم إلمام ما بها، وبالتالي فقد كان طبيعياً أن تنعكس أفكارهم القديمة على الديانة الجديدة.

ويبدو هذا التأثر واضحاً في الفن المسيحي في مراحله الأولى، والمثال الذي سنستخدمه هنا هو ما يعرف بإسم الصليب المصري، وهو تعديل لعلامة الحياة «عنخ» في مصر القديمة، والتي تظهر في الشكل رقم (٢٨) من دعامة على عمود يعود إلى أوائل الألف الثاني ق. م، وقد استمر إستعمال هذا الشكل في ديانة إيزيس وسارابيس السرية التي تعاصرت مع المسيحية في جزء منها. ويظهر الشكل رقم (٢٩) جزء من لوحة جنائزية Stela لأحد الأقباط المصريين تعود إلى القرن الخامس إلى السابع الميلادي، ويظهر فيها عدة أشكال للصليب المسيحي، إلا أن الصلبان في الأسفل توضح أنها تعديل قبطي لعلامة الحياة.

ورغم عداء المسيحية الشديد للديانات الوثنية، فقد ظهرت عدة آلهة من آلهة هذه الديانات في الفن المسيحي ـ خاصة القبطي ـ حتى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وبصفة خاصة ديونيسوس وأورفيوس. ويظهر الشكل رقم (٣٠) الإله ديونيسوس مرسوماً على لوحة من القماش القبطي تعود إلى القرن الخامس الميلادي، ويظهر حول رأسه الهالة التي ابتدعها الفنانون الوثنيون ورسموها حول رؤوس آلهتهم وملوكهم، ثم اقتبسها الفنانون المسيحيون وصوروا بها المسيح والقديسين.

هذا بالإضافة إلى أن الإلهة إيزيس كثيراً ما صورت وهي تعتني بطفلها حورس، وسميت Isis Lactans، وهو النموذج الذي احتذاه الفنان المسيحي في تصويره للعذراء وهي تعتني بطفلها المقدس وسميت Mary Lactans أو Madonna Lactans، كما صور المسيح نفسه في العديد من المناسبات على أنه أورفيوس أو ميثرا أو إله الشمس يقود عربته المجنحة في السماء[٨٤].

يضاف إلى هذا تصوير الفنان المسيحي للولائم التي كان عنصريها الأساسيين هما الخبز والنبيذ، وهي الولائم المقدسة التي ظهرت وميزت كل الديانات السرية القديمة (القربان المقدس)[٨٥].

---

(٨٣) I Cor., 15: 5; II Kings, 2: 11.

(٨٤) Howard Teeple, Op. cit., p. 4.

(٨٥) Justin I Apology, 66. Cf. Samuel Angus, The Mystery Religion and Christianity, London 1925, Passin.

وتتأكد استعارة المسيحية لبعض ملامح الديانات السرية القديمة من اختيار آباء الكنيسة ليوم ٢٥ ديسمبر عيداً لميلاد المسيح، فمع ملاحظة أن التاريخ الأصلي غير مؤكد، تجدر الإشارة إلى أن هذا التاريخ هو عيد ميلاد الإله ميثرا(٨٦).

أما النوع الثاني من التشابه فهو تشابه في الأفكار، خاصة فكرة الخلاص أو الحياة الأبدية المباركة في العالم الآخر، والتي لا تتحقق إلا بالتعميد والتكريس والتلقين، وعضوية الديانات السرية، وما ينتج عن ذلك من ميلاد روحي جديد. وهي الفكرة الأساسية في المسيحية، لكن ديانات الأسرار سبقتها إلى تلك الفكرة بعشرة قرون على الأقل.

ويستمر إنتشار المسيحية حتى تظهر موجة الإضطهاد المعروفة ضد المسيحيين في القرن الثالث الميلادي، حتى يتولى قنسطنطين العرش، فيتبنى سياسة معتدلة حاولت التوفيق بين المسيحية والديانات الوثنية الموجودة، وبالتدريج بدأ يميل إلى المسيحية فبدأ في تشجيع إنشاء الكنائس، وبالمقابل منع ترميم أو إنشاء معابد جديدة. ثم تبعه أبناؤه الثلاثة في نفس الإتجاه، فأصدر الإبن الثاني له قراراً يمنع تقديم الأضحيات الوثنية في إيطاليا، أما الثالث فقد أصدر قراراً بإغلاق المعابد، وهكذا بدأت هذه الديانات السرية في الإحتضار.

وظهرت بارقة أمل عندما تولى الإمبراطور چوليان العرش فألغى كل القرارات والمراسيم الإمبراطورية المضادة للديانات الوثنية، لكن لم يستمر هذا الأمل إلا ثلاث سنوات هي مدة حكم چوليان، فقد مات في إحدى المعارك مع الفرس. وعندما تولى بعده چوڤيان الحكم أعاد للكنيسة كل امتيازاتها السابقة، ثم يكاد الصراع ينتهي بإرتقاء الإمبراطور ثيودوسيوس العرش، فقد أصدر في ٣٩١ قراراً بتحريم الديانات الوثنية.

وبنهاية القرن الخامس الميلادي حسمت المعركة تماماً لصالح المسيحية إلا من العديد من ملامح ديانات الأسرار التي دخلتها وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من تركيبتها اللاهوتية(٨٧).

خاتمة

مما سبق يتضح أن أقدم ديانات الأسرار يعود إلى حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد (الأسرار الإليوسية)، وأحدثها يعود إلى الفترة من القرن الثالث إلى الثاني قبل الميلاد (ديانتا إيزيس وسارابيس والإلهة السورية أتارجاتيس)، واستمر الإهتمام بهذه الديانات حتى القرن الرابع الميلادي، أي أن بعض هذه الديانات قد إستمر تواجده على الساحة ما يقرب من الألفي عام.

وقد ظهرت هذه الديانات كرد فعل للقصور الذي شاب الديانات التقليدية الرسمية أو

---

(٨٦) Howard Teeple, op. cit., p. 6.

(٨٧) Ibid., p. 7.

شبه الرسمية في العالم اليوناني الروماني، والتي اهتمت أساساً بمظاهر الحياة الدنيوية، فأتت ديانات الأسرار لتتبني فكرة الخلاص الروحي، وتعد اتباعها بحياة أبدية سعيدة خالدة في العالم الآخر.

وبإستثناء الأسرار الإليوسية والديونيسية والأورفية فقد كانت مصر ومنطقة الشرق الأدنى القديم بما فيها آسيا الصغرى هي مهد ديانات الأسرار والتي هي في الأصل تقديس لعناصر الطبيعة المختلفة والمؤثرة في حياة الإنسان، وكان ضمان الخصب ونمو المحاصيل هدفاً أساسياً لها. وفيما عدا الأورفية وديانة الإلهة السورية أتارجاتيس، فقد كان الجنس يحتل مكانة هامة في هذه الديانات كتعبير عن إستمرارية الحياة.

وفي العصر الهللينستي اتصلت الديانات الشرقية بمثيلتها اليونانية وأثرت فيها وأخذت عنها القليل، وبالتالي يمكن القول أن كل ديانات الأسرار التي احتوت على عناصر شرقية وغربية معاً قد تكونت عن طريق إنتقالها من الشرق إلى الغرب وليس العكس.

وقد غلب على هذه الديانات الطابع الشخصي الفردي، فهي ديانات تحقق منفعة مباشرة لمن يعتنقها، كالوعد بالخلاص الشخصي أو الخلود بعد الموت، ولذلك فرغم أن هذه الديانات كانت متاحة أمام الجميع، إلا أنها في نفس الوقت كانت منغلقة على من يتبعها فقط، وبالتالي تحولت طقوسها إلى طقوس سرية (عكس الديانات التقليدية ذات الطقوس العلنية) تحتوي على أشكال غريبة من الرقص والموسيقى والغناء والتضحية بالحيوانات ثم استخدام دمها في التعميد، والصيام لفترات معينة، والتطهر بالماء، والإشتراك في وجبات جماعية مقدسة.

وكنتيجة لهذا الطابع الفردي الشخصي الذي حملته هذه الديانات، فقد انتشرت بشكل واضح، حتى أنه أمكن تحديد حوالي الأربعمائة موقع مقدس في العالم اليوناني الروماني كان يعبد فيها ميثرا وهو أحد أشهر آلهة الديانات السرية، يضاف إلى هذا أن ديانة مثل ديانة كيبيلي وأتيس أصبحت بسبب إنتشارها من الديانات الرسمية للجمهورية الرومانية، واستمرت كذلك حتى الثلاثة قرون الأولى من العصر الإمبراطوري.

وقد تعاصرت أغلب الديانات السرية مع المسيحية في شكلها الأول، وإستمر هذا الإحتكاك على الأقل لأربعة قرون، مما أدى إلى تسرب بعض أفكار هذه الديانات إلى المسيحية، مثل فكرة الموت ثم البعث (القيام)، والحياة بسلام على الأرض، كما إنتقلت العديد من طقوسها الغامضة أيضاً إلى المسيحية، كالتطهر بالماء، والتعميد، والوجبة المقدسة (دم وجسد الأضحية) التي تحولت إلى القربان المقدّس، إلى حد أن تم اختيار عيد ميلاد الإله ميثرا ليصبح هو عيد ميلاد المسيح (٢٥ ديسمبر). هذا طبعاً بالإضافة إلى استعمال الفنان المسيحي للعديد من الرموز والأشكال وطرق التصوير الخاصة بالديانات السرية.

Select Bibliography

- Eve and John Harris, The Orintal Cults in Roman Britain, Leiden: Brill, 1965.
- Gerald Friedlander, Hellenism and Christianity, P. Vallentine, London 1912.
- Harold Willoughby, Pagan Regeneration, A study of Mystery Initiations in the Graeco - Roman World, Chicago, the University of Chicago Press, 1929.
- Javier Teixidor, The Pagan God, Popular Religion in the Graeco - Roman Near east, Princeton, Princeton University Press, 1977.
- John Ferguson, The Religions of the Roman Empire, Ithaca, Cornell University Press, 1970.
- Martin Nilsson, A History of Greek Religion, New York 1964.
- Idem., The Dionysiac Mysteries of the Hellenistic and Roman Age, Lund: C. W. K. Gleerup 1957.
- Richard Reitzenstein, Hellenistic Mystery - Religions. Their Basic Ideas and Significance, Pittsburgh: Pickwick Press, 1978.
- Samuel Angus, The Religious Quests of the Graeco - Roman World, New York 1929.
- Sharon Kelly Heyob, The Cult of Isis among Women in the Graeco - Roman World, Leiden: Brill, 1975.

Photos Credits

Fig. 1. Paul Getty Museum, After Edgar Krentz.
Fig. 2. After Edgar Krentz.
Fig. 3. Vatican Museum, After Edgar Krentz.
Fig. 4, 5. After Howard Teeple.
Fig. 6. After A. Parrot, Les Phéniciens, Paris 1975, plate 12.
Fig. 7 - 10. After David Aune.
Fig. 11 - 12. After Susan Cole.
Fig. 13. After A. Parrot, pl. 143.
Fig. 14. After Susan Cole.
Fig. 15 - 16. After Lewis Hopfe.
Fig. 17. Capitoline Museum, after Paul Gehl.
Fig. 18. Capitoline Museum, after Robert Wild.
Fig. 19. After Robert Wild.
Fig. 20. After A. B. Cook. Zeus, Vol. 3, pl. XVI.
Fig. 21. After Guthrie, Orpheus and Greek Religion, pl. 8.
Fig. 22, 23. After Larry Alderink.
Fig. 24, 25. After Paul Gehl.
Fig. 26. Yale University Art Gallery, After Robert Oden.
Fig. 27. After R. V. Scholder, Ancient Greece from the Air, London 1974.
Fig. 28 - 30. After Howard Teeple.

بحث
٥

راقودة (الاسكندرية) فى العصر الفرعونى

للدكتور
إبراهيم حسين محمد
مدرس التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة المنوفية